

القادية

رسوم
إبراهيم سمرة

بقلم
عبد الحميد عبد المصمود



الناشر
المؤسسة العربية الحديثة

الطبع والطباعة والنشر
٢٠١٤م - ١٤٣٥هـ
٩٨٦٩٩٩
٩٨٦٩٩٩

فِي عَهْدِ الْخَلِيفَةِ (عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ) ثَالِثِ
الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، اَزْدَهَرَتِ الْفُتُوحَاتُ الْإِسْلَامِيَّةُ ،
وَأَصْبَحَ لِلْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ دَوْلَةٌ قَوِيَّةٌ دَانَتْ لَهَا كُلُّ
الْقُوَى فِي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، لِيَتَّحِدَ شُعُوبُهَا تَحْتَ
رَايَةِ الْإِسْلَامِ ، فَتَنْعَمَ بِعَظَمَتِهِ وَتَرْفُلَ فِي نِعَمِ اللَّهِ الَّتِي
تَفْضُلُ بِهَا عَلَيَّ مَنْ أَسْلَمَ وَاهْتَدَى إِلَى نُورِ الْحَقِّ .





لَقَدْ كَانَتِ السَّنَةُ الْخَامِسَةُ عَشَرَ مِنَ الْهِجْرَةِ هِيَ
عَامُ الْقَادِسِيَّةِ ... أَكْبَرِ وَاقِعَةٍ تَارِيخِيَّةٍ وَأَكْثَرِ
الْمَعَارِكِ أَثَرًا فِي مَسَارِ الْحَضَارَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَامَّةً .

فَبَعْدَ أَنْ انتَصَرَتْ جِيُوشُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى جَيْشِ
الرُّومِ فِي بَعْضِ الْمَوَاقِعِ بِالشَّامِ وَأَصْبَحَ الْقَضَاءُ عَلَيْهِمْ
أَمْرًا مَحْتُومًا ، أَمَرَ الْخَلِيفَةُ (عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ) أَنْ



تَجَّهَ جِيُوشُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْعِرَاقِ لِتُخَلِّصَهَا مِنْ
سُلْطَانِ الْفُرسِ ، وَتَقْضَى عَلَى كُلِّ أَثَرٍ لَهُمْ هُنَاكَ .
وَعَلَى رَأْسِ جَيْشٍ بَلَغَ ثَلَاثِينَ أَلْفًا أَوْ أَكْثَرَ سَارَ (سَعْدُ
ابْنُ أَبِي وَقَّاصٍ) وَ (هَاشِمُ بْنُ عُثْبَةَ) وَ (الْقَعْقَاعُ بْنُ عُمَرَ) .
وَعِنْدَ مُشَارَفِ الْعِرَاقِ وَصَلَتْ وَصَايَا الْخَلِيفَةِ (عُمَرَ بْنِ
الْخَطَّابِ) إِلَى (سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ) بِأَنْ يَذْهَبَ عَلَى
الْفُورِ إِلَى الْقَادِسيَّةِ ، فَهِيَ الْبَابُ الرَّئِيسِيُّ لِبِلَادِ فَارِسَ ،

وَأَنْ يَضَعَ قَوَاتَهُ بَيْنَ آخِرِ الْحُدُودِ الْعَرَبِيَّةِ وَأَوَّلِ
الْحُدُودِ الْفَارِسِيَّةِ .

وللمزيدِ مِنَ التَّشْجِيعِ وَالْحَثِّ عَلَى الْجِهَادِ أَضَافَ
(عُمَرُ) فِي وَصَايَاهُ إِلَى (سَعْدٍ) أَنْ لَا يَخَافَ الْأَعْدَادَ
الْهَائِلَةَ لِأَعْدَائِهِ ، وَلَا الْعُدَّةَ الَّتِي يَمْتَلِكُونَهَا ، فَالْإِرَادَةُ
الصَّادِقَةُ وَالْإِيمَانُ الْعَمِيقُ هُمَا الْعُنْصُرَانِ الرَّئِيسِيَّانِ





اللَّذَانِ يَجِبُ أَنْ يَتَحَلَّى بِهِمَا كُلُّ قَائِدٍ أَوْ زَعِيمٍ يَتَوَلَّى
قِيَادَةَ مَعْرَكَةٍ حَرْبِيَّةٍ ، أَوْ غَزْوَةٍ كُبْرَى ، وَبِدُونِهِمَا
لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَتَحَقَّقَ النَّجَاحُ أَوْ الْإِنْتِصَارُ .

وَانْطَلَقَتِ الْجِيُوشُ الْعَرَبِيَّةُ صَوْبَ الْقَادِسِيَّةِ يَحْدُوهَا
الْأَمَلُ ، وَيَعْلُو وَجُوهُ قَادَتِهَا الْإِيمَانُ وَالصِّدْقُ فِي
سَبِيلِ رِسَالَةٍ مُقَدَّسَةٍ هِيَ رِسَالَةُ الْإِسْلَامِ .



وعندَ (العُذَيْبِ) إحدَى النُّقَاطِ الَّتِي كَانَتْ قَدْ
أَعَدَّتْهَا الْجِيُوشُ الْعَرَبِيَّةُ لَتَكُونَ نُقْطَةً حِرَاسَةً لَهَا
عَلَى الْحُدُودِ الْفَارِسِيَّةِ ، تَمَرَّكَزَتْ تِلْكَ الْجِيُوشُ
لِتَسْتَرِيحَ بَعْضَ الْوَقْتِ مِنْ عَنَاءِ الطَّرِيقِ الشَّاقِّ
الطَوِيلِ الَّذِي سَلَكَتُهُ فِي رِحْلَتِهَا ، وَلِيَتَّفِقَ الْجَمِيعُ
عَلَى تَفَاصِيلِ الْخُطَّةِ الْحَرَبِيَّةِ الْمُرْمَعِ تَنْفِيزِهَا .
وَفِي هَذِهِ الْأَثْنَاءِ لَاحِظَ (سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ) أَنَّ



بِالْمِنْطَقَةِ أَبْرَاجًا لِلْمُرَاقَبَةِ ، وَبَيْنَ الْحَيْنِ وَالْآخِرِ تَظْهَرُ
بَعْضُ الرُّءُوسِ دَاخِلَهَا ثُمَّ تَخْتَفِي ، وَهُنَا قَرَّرَ (سَعْدٌ) أَنَّ
يَقْتَحِمُ تِلْكَ الْأَبْرَاجَ ، فَدَخَلَتْ قَوَاتُ الْمُسْلِمِينَ
لِتَكْتَشِفَ أَنَّ مَنْ فَعَلَ كُلُّ هَذَا مَا هُوَ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ
أَرَادَ أَنْ يَتَجَسَّسَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، ثُمَّ انْطَلَقَ بَعْدَ ذَلِكَ
إِلَى الدَّاخِلِ لِيُخْبِرَ الْفَرَسَ بِمَا شَاهَدَهُ .

فَاسْتَوْلَتْ الْجِيُوشُ الْإِسْلَامِيَّةُ عَلَى تِلْكَ الْأَبْرَاجِ ،





وَاسْتَفَادَتْ مِمَّا بِهَا مِنْ رِمَاحٍ وَسِهَامٍ وَأَلَاتٍ حَرْبِيَّةٍ
كَثِيرَةٍ كَانَ الْفُرسُ يَحْتَفِظُونَ بِهَا ثُمَّ تَرَكُوهَا .

وفى بلادِ فارسَ :

كَانَ الْمَلِكُ (يَزْدَجَرْد) مَلِكُ الْفُرسِ يَتَابِعُ بِقَلْقُ
شَدِيدٍ تَحَرُّكَاتِ جِيوشِ الْمُسْلِمِينَ نَحْوَ الْقَادِسِيَّةِ ،
فَأَمَرَ بِإِعْدَادِ جَيْشٍ كَبِيرٍ تَحْتَ قِيَادَةِ الْقَائِدِ ..
(رُسْتَمَ بْنِ الْفَرخَزَادِ) لِيُوجِهَ تِلْكَ الْفُلُولِ الرَّاحِفَةِ



بِلَا هَوَادَةٍ نَحْوَ الْمَمْلَكَةِ الْفَارِسِيَّةِ .

وَعِنْدَ ذَلِكَ أُعِدُّ وَفْدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلَهُ كُلُّ
مِنْ (النَّعْمَانِ بْنِ مَقْرِنٍ) وَ (فَرَانَ بْنِ حَبِيبَانَ)
وَأُخَرُونَ ، وَذَهَبَ هَذَا الْوَفْدُ لِمُقَابَلَةِ (يَزْدَجَرْدِ)
فَلَمَّا مَثَلُوا بَيْنَ يَدَيْهِ دَعَاهُ لِلدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ ،
أَوْ دَفَعَ الْجَزِيَّةَ الْمَفْرُوضَةَ عَلَيْهِ مَنْ لَا يُسْلِمُ
فَهَبَّ (يَزْدَجَرْدُ) وَاقْفًا وَقَالَ :

– لَيْسَ لَكُمْ عِنْدِي شَيْءٌ ، اَخْرَجُوا وَإِلَّا أَمَرْتُ
بِقَتْلِكُمْ .

فَرَدَّ النُّعْمَانُ غَاظِبًا : إِذَنْ إِنَّهَا الْحَرْبُ ...

تَمَرَّكَزَتْ قَوَاتُ الْمُسْلِمِينَ عِنْدَ الْقَادِسِيَّةِ ، بَيْنَمَا

اتَّجَهَ إِلَيْهَا (رُسْتَمُ) عَلَى رَأْسِ جَيْشٍ

بَلَغَ مِائَةً وَعِشْرِينَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ





عَلَاوَةً عَلَى ثَلَاثَةِ وَثَلَاثِينَ فَيْلًا مِنْ أَقْصَى الْفَيْلَةِ
الَّتِي اسْتَحْدَمَهَا الْفُرسُ فِي مَعَارِكِهِمْ ، وَتَقَدَّمَتْ
الْفَيْلَةُ الْجَيْشَ حَتَّى الطَّرَفِ الْآخِرِ مِنَ النَّهْرِ فِي
مُوَاجَهَةِ الْقَادِسِيَّةِ ، ثُمَّ أُرْسِلَ (رُسْتَم) إِلَى (سَعْدِ
ابْنِ أَبِي وَقَّاصٍ) يَطْلُبُ مِنْهُ عُبُورَ النَّهْرِ أَوْ يَعْْبُرُ هُوَ
إِلَيْهِ ، فَاخْتَارَ (سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ) الثَّانِيَةَ ،
وَانْتَظَرَ قُدُومَ عَدُوِّهِ إِلَيْهِ .



وَعِنْدَمَا جَاءَ اللَّيْلُ وَأَقْبَلَ الظُّلَامُ الدَّاكِنُ أَمَرَ
(رُسْتُمْ) رِجَالَهُ لِيُقِيمُوا جِسْرًا عَلَى النَّهْرِ يَصْنَعُونَهُ
سَنَ الثَّرَابِ وَالْأَحْجَارِ ، بِالإِضَافَةِ إِلَى كُلِّ مَا يُمَكِّنُ
أَنْ يُقَابِلَهُمْ مِنْ مَوَادِّ طَبِيعِيَّةٍ ، عِلَاوَةً عَلَى مَا يَسْتَغْنُونَ
عَنْهُ مِنْ مَلَأِيسَ وَأَعْطِيَةِ .

وَمَعَ مَطْلَعِ الْفَجْرِ عَبَرَتْ قَوَاتُ الْفُرْسِ النَّهَرَ ..
الْفِيلَةُ فِي الْوَسْطِ مُتَقَدِّمَةٌ وَمِنْ خَلْفِهَا الْجُنُودُ

بأسلحتهم المتعددة الأشكال والأنواع ، وعلى
الجانبيين خيل كثيرة تحمل على جانبيها صناديق
العتاد .

وأعلن (سعد) صيحة الحرب الأولى «الله أكبر»
والثانية «الله أكبر» والثالثة والرابعة ،

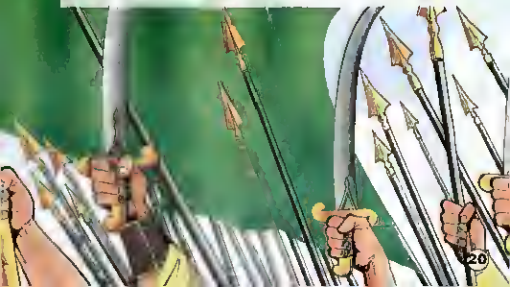




فَإِذَا بِالْمُسْلِمِينَ يَخُوضُونَ غِمَارَ الْحَرْبِ وَيُقَاتِلُونَ
بِبَسَالَةٍ مُنْقَطِعَةِ النَّظِيرِ ، بَلْ وَيَأْسِرُونَ وَاحِدًا مِنْ
كِبَارِ قَادَةِ الْفُرْسِ هُوَ (الْهُرْمُزُ) .

إِلَّا أَنَّ الْفِيلَةَ هَاجَمَتِ الْمُرْسَانَ الْعَرَبَ وَخَبِثَتْ لَهُمْ
فَنَشَرَتِ الذُّعْرَ بَيْنَهُمْ إِلَى حَدٍّ كَبِيرٍ .

وَبَدَأَ (سَعْدٌ) يَدْرُسُ نِقَاطَ الضَّعْفِ فِي الْفِيلَةِ ،
فَعَرَفَ أَنَّ أَكْبَرَ نُقْطَةٍ ضَعْفٍ فِي الْفِيلِ هِيَ عَيْنِيهِ



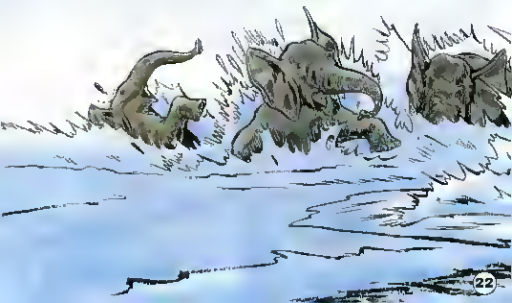
لو أَصَابَهَا أَذَى فَإِنَّهُ يَفْقِدُ صَوَابَهُ أَوْ يَهْرَبُ . كَذَلِكَ
خَرْطُومُهُ ، إِذَا أَصَابَهُ شَيْءٌ تَحْدُثُ نَفْسُ النَّتِيجَةِ .

فَرَكَّزَ الْقَوَادُّ عَلَى ضَرْبِ نِقَاطِ الضَّعْفِ فِي
الْفِيلَةِ ، كَمَا ضَاعَفُوا تَرْكِيزَهُمْ عَلَى فِيلٍ أبيضَ
ضَخْمٍ جِدًّا كَانَ يَقُودُ الْفِيلَةَ جَمِيعًا .

ثُمَّ رَكِبَ (الْقَعْقَاعُ) فَرَسَهُ وَامْتَشَقَّ رُمْحَهُ ، وَاتَّجَهَ
مُسْرِعًا نَاحِيَةَ الْفِيلِ الْأَبْيَضِ .

فَصَوَّبَ الرُّمَحَ نَاحِيَةَ عَيْنِ الْفِيلِ الْيُمْنَى ، بَيْنَمَا
فَارِسٌ عَرَبِيٌّ آخَرُهُ هُوَ (عَاصِمُ بْنُ عَمْرٍو) كَانَ يُصَوِّبُ
رُمَحَهُ نَاحِيَةَ الْعَيْنِ الْيُسْرَى .

وَفِي حَرَكَةِ رَجُلٍ وَاحِدٍ انْطَلَقَ الرُّمَحَانِ نَحْوَ
عَيْنِي الْفِيلِ الْأَبْيَضِ فَأَصَابَتْهُمَا إِصَابَةٌ شَدِيدَةٌ
وَمُبَاشِرَةٌ ، مِمَّا جَعَلَهُ يَتَرَجَّعُ مُسْرِعًا وَيَطْرَحُ رَاكِبَهُ





أَرْضًا ، ثُمَّ بَصُولٌ وَتَجُولٌ وَسَطَّ عَسْكَرُ الْفُرسِ عَلَى غَيْرِ
هُدًى ، فَيَدُوسُ بِقَدَمَيْهِ كُلَّ شَيْءٍ يُقَابِلُهُ بِلا أَى تَمْيِيزٍ أَوْ
تَحْدِيدٍ لِهَدَفٍ ، كُلُّ هَذَا وَهُوَ يَصِيحُ مِنَ الْأَلَمِ .
وَأَخِيرًا قَفَزَ إِلَى النَّهْرِ عَلَيْهِ يَسْتَطِيعُ الْهَرُوبَ مِنَ
الْمَعْرَكَةِ أَوْ يُضْمَدُ جِرَاحُهُ مِمَّا أَصَابَهُ ، فَمَا كَانَ مِنْ بَاقِي
الْفِيلَةِ إِلَّا أَنْ قَفَزَتْ كُلُّهَا خَلْفَهُ .



وَبَعْدَ رَحِيلِ الْفِيلَةِ ، وَالتَّى كَانَتْ عِنْدَ الْفَرَسِ
بِمَثَابَةِ سِلَاحِ الْمُدْرَعَاتِ فِي الْجُيُوشِ الْحَدِيثَةِ ،
حَدَّثَ تَصَدُّعٌ كَبِيرٌ فِي صُفُوفِ الْجَيْشِ الْفَارِسِيِّ
وَأَدْرَكَ جُنْدُ الْفَرَسِ أَنَّهُمْ مَهْزُومُونَ لَا مَحَالَةَ أَمَامَ قُوَّةِ
وَصَلَابَةِ الْجُنْدِيِّ الْمُسْلِمِ الَّذِي يُحَارِبُ مِنْ أَجْلِ
قَضِيَّةٍ وَرِسَالَةٍ مُقَدَّسَةٍ يَهْبُ حَيَاتُهُ مِنْ أَجْلِهَا وَيَنَالُ
شَرَفَ الْإِسْتِشْهَادِ فِي سَبِيلِهَا رَاضِيًا مُطْمَئِنًّا .

وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ الْمُتْلَاحِمَ لِيَصِلَ إِلَى ذِرْوَتِهِ ، وَتَرَجَّحَ
كَفَّةُ الْمُسْلِمِينَ رُويْدًا رُويْدًا ، وَتَتَهَاوَى الْمِائَاتُ مِنْ
جُنْدِ الْفَرَسِ تَحْتَ سَنَابِكِ خِيُولِ الْمُسْلِمِينَ ، بَيْنَمَا
يَسْتَسْلِمُ الْمِائَاتُ أَيْضًا ، كَمَا يَهْرَبُ آخَرُونَ .

وَمِنْ أَشْهُرِ الْهَارِبِينَ كَانَ (رِسْتُم) الْقَائِدُ الْفَارِسِيُّ
الْكَبِيرُ الَّذِي كَلَّفَهُ (يَزْدَجَرْد) بِقِيَادَةِ الْجُيُوشِ .





لَقَدْ فَرَّ هَذَا الْقَائِدُ عِنْدَمَا اكْتَشَفَ ضَعْفَ مَوْقِفِهِ
وَمَوْقِفِ جُنُودِهِ ، وَعِنْدَمَا تَأَكَّدَ مِنْ هَزِيمَتِهِ خَافَ
أَنْ يَقَعَ فِي الْأَسْرِ ، فَأَخَذَ يَجْرِي بِكُلِّ قُوَّتِهِ إِلَى أَنْ
وَصَلَ النَّهْرَ فَأَلْقَى بِنَفْسِهِ فِيهِ ، لَكِنَّ الْفَارِسَ
الْعَرَبِيَّ (هِلَالَ بْنَ عَلْقَمَةَ) كَانَ لَهُ بِالْمِرْصَادِ حَيْثُ
لَحِقَ بِهِ وَضَرَبَهُ بِسَيْفِهِ وَقَتَلَهُ ، وَخَرَجَ صَائِحًا :
لَقَدْ قَتَلْتُ (رُسُومًا) .. لَقَدْ قَتَلْتُ (رُسُومًا) .



وَبَعْدَ مَقْتَلِ قَائِدِهِمْ أَتَهَارَ جُنْدُ الْفُرْسِ ، وَقَرَّرُوا
الْعُودَةَ إِلَى غُبُورِ النَّهْرِ مِنْ حَيْثُ أَتَوْا مَرَّةً ثَانِيَةً .
إِلَّا أَنَّ النَّهْرَ كَانَ ضِدَّهُمْ هُوَ الْآخِرُ هَذِهِ الْمَرَّةِ فَأَتَهَارَ
الْجِسْرُ الثَّرَابِيُّ الَّذِي كَانُوا قَدْ أَقَامُوهُ وَغَرِقَ حِوَالِي
ثَلَاثِينَ أَلْفًا مِنْ جُنْدِ الْفُرْسِ .

وَبِهَذِهِ النَّهَايَةِ حَقَّقَ الْمُسْلِمُونَ نَصْرًا كَبِيرًا ،
وَتَعَقَّبُوا الْفُرْسَ حَتَّى دِيَارِهِمْ ، فَأَسْرَوْا مِنْهُمْ أَلْفًا ،

كَمَا أَخْضَعُوا إِيوَانَ كِسْرَى لِرَايَةِ الْإِسْلَامِ .
وَقَدْ كَانَ هَذَا الْفَتْحُ مِنْ أَكْبَرِ الْفَتْوحَاتِ
الْإِسْلَامِيَّةِ ، ثَبَّتَتْ بَعْدَهُ الدَّعْوَةُ ، وَأَخَذَتْ مَكَانَهَا
فِي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، فَزَوَّالُ
مُلْكِ كِسْرَى وَانْهْيَاؤُ دَوْلَتِهِ





لَمْ يَكُنْ بِالشَّيْءِ السَّهْلِ الَّذِي يَتَصَوَّرُهُ الْعَالَمُ أَوْ
يَتَوَقَّعُ حَدُوثَهُ ، وَبُنَاءُ عَلَيْهِ كَانَ انتصارُ الإسلامِ في
القَادِسِيَّةِ انتصارًا لِلْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ .

(تَمَّت)

وَلَمْ يَلِدْ : ٢١٣٩

الترقيم للدواوين : ٧١ - ٣١٤ - ٣١٦ - ٩٧٧

